هم المستقبل

قطعة من:

شرح رسالة الوسائل المفيدة للحياة السعيدة

للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي

تأليف

د. محمد بن إبراهيم الحمد

العبيكان
Obeikan

فيعلم أن الأمورَ المستقبلةَ مجهولٌ ما يقع فيها من خير وشر وآمال وآلام، وأنها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العباد منها شيء إلا السعي في تحصيل خيراتها، ودفع مضراتها، ويعلم العبد أنه إذا صَرَف فكرَه عن قلقه من أجل مستقبل أمره، واتكل على ربه في إصلاحه، واطمأن إليه في ذلك، إذا فعل ذلك اطمأن قلبه، وصلحت أحواله، وزال عنه همُّه وقلقُه[1].

---

(١) يوضح الشيخ في هذا المقطع ما أَجْمَلَه آنفًا من التفكير بالمستقبل المَخُوْف، وكونِه سببًا للقلق والشقاء، والأحزان؛ فيبين ههنا أن علم المستقبل عند الله العزيز الحكيم الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى، وأنها بيده وحده دون من سواه:

ما قضى الله كائن لا محالهْ والشقيُّ الجهولُ من لام حالهْ

فالخير، والشر، والآلام، والآمال أمرها عند الله، وليس للعباد سوى الأخذ الأسباب، والسعي في تحصيل الخير، ودفع الشر، والتوكل على من بيده ملكوت كل شيء؛ فإذا اعتمد العبد على ربه، وفوض الأمر إليه، وأخذ بالأسباب المشروعة والمباحة - حصلت له الطمأنينة، وغشيته السكينة، وزالت عنه الهموم، وانجابت عنه الغموم؛ وحارب كل سبب يقوده إلى اليأس؛ إذ ليس بُعبّس الوجه والنفس كاليأس؛ فاعتقادك أن لا مستقبل لك، ولا أمل في حياتك، ولا خير ينتظرك - سم قاتل، وسجن مظلم، يصد النفس ويقمعها، ولا يزال بالإنسان حتى يهلكه. وعلى العكس من ذلك فإن تَوَقُّعَ الإنسانِ الخيرَ، وأَمَلَهُ في الحياة - يحمله على أن يوسِّع معارفه في الحياة، وعلى الجد فيما اختاره من صنوف العيش، وعلى استعمال ما وهبه اللهَّ خير استعمال. =

.....

= فإذا أردت السرور فحارب اليأس، واقطع أسبابه، وعَوِّد نفسك الأمل، وتوقع الخير في المستقبل.

ومن أعظم ما يعين على ذلك طردُ الهمِّ، ومحاربةُ الكآبةِ؛ ذلك أن الاستسلام للحزنِ، والإغراقَ في التشاؤم، والاسترسالَ مع الهم، والخوف من توقع المكروهِ، والإفراطَ في تقدير الآلام - مما يضعف الحياةَ، ويقلل الإنتاجَ، ويزيد الآلام، ويضاعف البؤسَ والشقاءَ؛ فحارب الكآبة من نفسك، وادرأ الهم ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، وابتسم للحياة، وابتهج بها من غير إسراف - تزدد حياتك قوة، وتشعر بالسرور والسعادة.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سهرت أعين ونامت عيونٌ ... في أمور تكون أو لا تكون

فادرأ الهم ما استطعت عن النفـ ... ـس فحملانُك الهمَ جنونُ

إن ربًّ كفاك بالأمس ما كا ... ن سيكفيك في غدٍ ما يكون